

نفحات القرآن

[292] 2 - خطوة أخرى على طريق الشرك في هذا الموضوع إنحرفت مجموعتان إسلاميتان هما (الأشاعرة) و (المعتزلة) أي المفوضة ، المجموعة الأولى تتبع " أبا الحسن البصري " المتوفى عام 324هـ . وتنكر التأثير والعلة والمعلول في عالم الخلق إنكاراً تاماً¹ وتقول : إذا كانت النار محرقة فأنه مجرد تصوّر لا ! فالمحرق الأصلي هو الله ، ولكن إرادته حكمت بشكل إذا مسّت النار - مثلاً - يد الإنسان فإن الله يوجد الإحتراق مباشرة في يده ! وبهذا النحو أنكروا عالم العلة والمعلول تماماً واعتبروا الله تعالى علة لكل شيء مباشرة دون واسطة . إنهم أنكروا هذه القضية المحسوسة بل والأكثر من المحسوسة (1) بسبب إيمانهم بأن الاعتقاد بوجود عالم الأسباب يخلّ في توحيد الخالق . بسبب هذا الخطأ الكبير تعرّضت مجموعة الأشاعرة إلى إنحراف كبير آخر وهو أنّها تعتبر أفعال الإنسان وأعماله مخلوقة لله أيضاً ، وهذا أسوأ أنواع الجبر ! وبعبارة أخرى أنّه شيء أعلى من الجبر لأنّ الأشاعرة يقولون : لسنا نحن الفاعلين للأعمال الصالحة والسيئة بل أنّ الخالق لها كلّها هو الله سبحانه ، فهي في الحقيقة أعماله المباشرة لا أعمالنا الجبرية (فتأمّل جيداً) . وفي النقطة المقابلة يقف المعتزلة الذين لا يعتقدون بوجود تأثير للأسباب والعلل فحسب بل يعتبرونها مستقلة في تأثيراتها ، فمثلاً أنّ الله خلق بعض الأنبياء والأولياء وأوكل إليهم أمر الخلق ، كما يعتقدون أنّ الإنسان مستقلّ في أعماله تماماً ، وبهذا يعتبرون الإنسان خالقاً صغيراً والله عزّ وجلّ خالقاً كبيراً ! ولا شكّ في أنّ المجموعتين على خطأ ، وقد وقعنا في لون من الشرك ، شرك جلي وصريح ، وشرك خفي ، فالقائلون بـ (التفويض) ابتلوا بشرك جلي _____ 1 - ليس لقانون العلّية بعد حسّي فقط بل يمكن التوصل إليه عن طريق الوجدان ولاعلم الحضوري ، لأنّ كلّ شخص يرى بوضوح أنّ روحه توجد الإرادة والتفكير .